

وعي الشباب و إشكالية تحديد الهوية بالجزائر في ظل التغير والصراع القيمي من منظور العولمة و الحداثة -دراسة ميدانية-

د.وسيلة عيسات *

الإرسال:	2018/03/29	القبول:	2018/09/24	النشر:	2018/12/22
----------	------------	---------	------------	--------	------------

الملخص باللغة العربية:

تعالج هذه الورقة إشكالية الهوية لدى الشباب الجزائري، وتحاول فهم تصوراتهم والاستراتيجيات المعتمدة من قبلهم للتكيف مع قوى التغير من خلال إعادة بناء أو تشكيل هويتهم كي تستجيب لمتطلبات العصر. يتم ذلك في ظل تأثيرات عوامل عديدة داخلية وخارجية؛ مثل النظام التعليمي والسياسات الدولية الموجهة نحو الشباب. وكذلك تأثيرات ظاهري العولمة والحداثة وفي مقدمتها الثورة التقنية في عالم الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي. لقد ساعدت هذه الأخيرة الشباب على تطوير الوعي بهويتهم، وكيفية المحافظة عليها في ظل التحولات العميقة التي يشهدها المجتمع الجزائري. يحدث ذلك ضمن سرورية اجتماعية تميزها رغبة الشباب في تحقيق الحداثة وبناء مجتمع جديد يسير التطور التقني والعلمي، والمحافظة بذات الوقت على الخصوصية الثقافية والهوية الوطنية. تمثل الهوية أحد المواضيع الأكثر إثارة للاهتمام في الدراسات السوسيولوجية، بخاصة في الفترة الأخيرة، كونها تعبر عن الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية سواء لدى الأفراد أو الجماعات أو المجتمع ككل. كما أنها موضع تأثيرات متعددة ومتنوعة بفعل الفرص المتاحة للفاعلين الاجتماعيين، أو بسبب الضغوط والإكراهات التي يتعرضون لها في ظل التحولات الاجتماعية والتغير الثقافي بما في ذلك الصراع القيمي الذي يشهده المجتمع الجزائري. يحدث ذلك بسبب التفاعل

* - أستاذة محاضرة، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم. البريد الإلكتروني: [aissat.wassila@yahoo.fr]

حيناً والصدام حيناً آخر بين متطلبات الأصالة والتراث من جهة، وتأثيرات العولمة والحدثة من جهة أخرى. تعالج الورقة هذه الإشكاليات المتعلقة بموضوع الهوية بناء على معطيات دراسة ميدانية خاصة برسالة دكتوراه أجريت على عينة من 200 شاباً (يمكن الرجوع إلى عيسات وسيلة، "جدلية التقليد والحدثة في المجتمع الجزائري الشبابي - مقارنة للتغير والصراع القيمي دراسة ميدانية بولاية تلمسان"، أطروحة دكتوراه علم الاجتماع، جامعة وهران 2، رابط التحميل <http://www.univ-oran2.dz/index.php/fr/2017-02-02-10-44-06/596-2017-03-22-10-25-30>). ويقع التركيز بخاصة على عاملين أساسيين من أهم مقومات الهوية هما اللغة والدين. كما سيتم تسليط الضوء على الحدود المتحركة في علاقة الهوية بالعولمة والحدثة، والفرق بينهما في تصورات الشباب. كما تلمح الورقة إلى الإجابة على مجموعة من التساؤلات من بينها: كيف سيحافظ الشباب الجزائري على هويته ضمن سيرورة التغير التي يشهدها المجتمع تحت تأثير العولمة والحدثة؟ وهل علاقة الهوية بالعولمة هي نفس علاقتها بإشكالية الحدثة؟ هل بإمكان الشباب إعادة تشكيل هويته انطلاقاً من الخصوصية الثقافية والقيمية للمجتمع الجزائري؟ أم أنه مضطراً إلى بناء هوية جديدة تستجيب لمتطلبات الحدثة والعولمة؟ أم بإمكانه التوفيق بين متطلبات الأصالة والحدثة معاً؟

كلمات مفتاحية: الهوية، اللغة، الدين، العولمة، الحدثة، التغير الاجتماعي، الصراع القيمي.

ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: This paper addresses the problematic issue of identity among young Algerians. It attempts to understand their perceptions and the strategies they adopted to cope with the forces of change. This might be achieved through reconstructing their identity or building new one in accordance to the requirements of the era. Such process takes place under the effects of many internal and external factors. These include among others education and youth-oriented state policies, as well as globalization and modernity in their various manifestations. Especially the impact of the

technological revolution in the world of social media and communication. The latter have helped young people to develop awareness of their identity, and learn how to preserve it in light of structural changes taking place in the Algerian society. All this happens within a social process characterised by the youths' desire to live in a modern society that adheres to technical and scientific development, while maintaining in the same time the cultural specificities and national identity. No doubt, Identity is one of the most interesting topics in sociological studies, especially in recent times. It is an expression of cultural and social awareness, whether among individuals, groups, or society as a whole. It is also the subject of multiple and diverse influences to which it is exposed be that in the form of opportunities available to social actors. Or because of the pressures and constraints they face given social transformation and cultural change; including the clash of values resulting from interaction and confrontation between the requirements of authenticity and tradition on the one hand, and the impact of globalisation and modernity on the other. Such problematic issues related to the topic of identity will be addressed using data from a field study conducted on a sample of 200 Algerian youths. Focus will be particularly placed on two of the most fundamental elements of identity in Algerian society; language and religion. It is also interesting to explore the moving boundaries of identity in relation to globalization and modernity in the youths' perceptions. The paper aims to answer a range of questions including; Can Algerian youth preserve their identity amidst the process of change in society and given the impact of globalisation and modernity? Is the relationship of identity to globalisation the same as that of identity to modernity? Can young people reshape their identity on the basis of cultural values and particularisms characterising Algerian society? will they be forced into building new identity in response to the

requirements of modernity and globalisation? Or will they succeed in marrying the two together in a harmonious way.

Keywords: Identity, Language, Religion, Globalisation, Modernity, Social change, clash of values.

مقدمة:

جلبت مجموعة من الظواهر من بينها العولمة والحدثة بمختلف تأثيراتها خاصة تكنولوجيا الاعلام والاتصال تيارا متنوعا من الأفكار وضع على بساط البحث والتحليل والمقارنة الثقافات والهويات خاصة بالنسبة لفئة الشباب. فلقد أصبح خطاب الهوية في الوقت الراهن من أهم المفاهيم المثيرة للجدل، مع ما تشهده المجتمعات العربية من تحولات متتالية ومتسارعة في مختلف الميادين، وما يتطلب منها من تحديات أمام ضرورة الانفتاح على الآخر (الغرب) وكيفية المحافظة على هذه الهوية، والتي كانت في القديم ترفض أي تحول أو تدخل في خصوصيتها الثقافية خاصة إذا ما تعلق الأمر بالدين، من خلال تحول الهوية إلى عائق يخلق الصراع نتيجة لتمثيلات الذات العاجزة عن إدراك الجديد وعملية التغير ورفضه، فأصبحت بالتالي عبارة عن إيديولوجيات تطبق على أرض الواقع بطريقة رمزية فقط، ما تطلب في الوقت الراهن من الشباب ومواكبة لهذه التغيرات إحداث نوع من القطيعة ليس مع الثقافة بمكوناتها الأساسية من قيم، دين...، وإنما مع طريقة التفكير التقليدية لهذه العناصر، على اعتبار أن الهوية لا تتطلب الانغلاق والتعصب لأنها متغيرة بتغير الثقافة، إذا ما نظرنا إلى مسألة الهوية بوصفها ظاهرة اجتماعية، فهي غير جامدة، بل تتطور وتتغير تبعا للتغيرات والتحولات التي يشهدها المجتمع.

وهنا يكمن دور الأفراد خاصة فئة الشباب الساعية إلى التغير المستمر في المحافظة على هويتهم، والعمل على الانفتاح على الغير والتجديد ومواكبة الحدثة والاستفادة من مظاهر العولمة، أمام ما يشهده المجتمع الجزائري من مظاهر التغير، وهنا نتحدث عن الثورة التقنية والتي ساعدت الشباب على التعرف والوعي بذاتهم وهويتهم مقابل الآخر. يقول بول ريكور إن الهوية الذاتية هي هوية "ذات" تكونت

وتعلمت في أحضان أعمال الثقافة التي اختارت أن تطبقها على ذاتها¹ وهي لا تفهم إلا بالرجوع إلى الآخر والمرور عليه وفهمه لنتمكن من فهم الآنا وإثبات الخصوصية الثقافية. فمن الضروري عدم الفصل بين الفكر والفعل في جميع أشكاله في الوسط الانساني² بمعنى أنه لا يمكن فهم المجتمع وسلوكات أفرادها إلا من خلال فهم ودراسة تصوراتهم. فكل فرد يملك تصورات وقيم خاصة به مرتبطة بثقافة مجتمعه، هي التي تحدد وتتحكم في ردود أفعاله وتصوراتها وبالتالي انماط سلوكه، أي أن الفرد يقوم بترجمة قيمه إلى أفعال وتصورات وسلوكات.

فإذا كانت الثقافة بنية فإن الرموز والأفعال والممارسات هي التي تقوي تلك الثقافة وتميزها وبالتالي تشكل في تطبيقها على الواقع "الهوية". أي أن لفهم المجتمع وتاريخه وثقافته وحركيته لابد من محاولة فهم الفعل خاصة ما يتعلق بالشباب. وعلى حد تعبير ادوارد سابير أن كل ثقافة محملة ومثقلة بالرمزية (الرموز الثقافية) حتى السلوك البسيط منها³ ما يصفه بورديو أو ما اسماه برأس المال الرمزي.

"فالثقافة مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه. والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته... فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقه الانسان المتحضر"⁴ ويشكل من خلاله هويته.

فدراسة إشكالية الهوية في علاقتها بالعملة والحدثة يتم في إطار إشكالية الخصوصية، وفي إطار هذه العلاقة الملتبسة إلى يومنا هذا والتي تتعلق بطبيعة الحدثة نفسها وخلفياتها الفلسفية، والعملة وتحدياتها وموقف الشباب منها. هل هي حركة كونية بمنظومة قيمية وثقافية ذاتية؟ هل تحدث تماشيا مع نموذج حضاري غربي مهيمن أثبت قوته؟ أم هي نموذج حدائي ينطلق من المحددات الثقافية الخاصة والمنظومة القيمية الذاتية للمجتمع؟ هل لتبني مشروع الحدثة والعملة يجب إلغاء الخصوصية الثقافية والهوية الوطنية للمجتمع الجزائري أم العكس؟ كيف يمكن

¹ Paul Ricœur, *Soi-même comme un autre*, Seuil, Paris, 1990, P445.

² Jean-Marie Domenach, *Esprit*, Nouvelle série, *Esprit*, 25eme année, N°255, Novembre, 1957, P476.

³ Edward Sapir, *Anthropologie*, Traduit par l'américain par Christian Bandelot et Pierre L'inquant, Edition Minuit, Paris, 1967, P52.

⁴ مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور وعمر كامل سقاوي، دار الفكر، دمشق، 1979، ص83.

للشباب المحافظة على الهوية الوطنية في ظل هذه التغيرات والتأثيرات وما تفرضه من تحديات؟ ما هي تصورات الشباب للهوية في علاقتها بالحدثة، والعولمة؟ باعتبارهم الفئة التي تسعى إلى التغيير ومواكبة العصر.

فمختلف هذه التحولات والتغيرات دفعت بالشباب إلى إعادة النظر في مجموعة من المفاهيم بكثير من التحليل والنقد والمراجعة وعلى رأسها مفهوم الهوية وما يثيره من جدل. "فيرى البعض صعوبة تحديد أو تعيين الهوية أو الخصوصية على صعيد الواقع، حيث يعتبر الكثيرون أن مفهوم الهوية مصطلح اديولوجي أكثر منه علمي، وذلك لأن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال الدين واللغة، وكل هذه خصائص متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها لذلك يمكن لمجتمع واحد أن يبدل هويته حسب المراحل المختلفة تاريخيا"¹. وبالتالي سنحاول التطرق إلى إشكالية الهوية من خلال أهم عنصرين يشكلان في مضمونهما الهوية وهما اللغة والدين، ليس كمصدرين وحيدين وإنما كأهم مصدرين.

1- موجز نظري وميداني للهوية:

ارتبط مفهوم الهوية بالثقافة وأداتها هي اللغة، إذ يرى بعض علماء الاجتماع والسياسة إن أزمة الثقافة هي في الأساس أزمة هوية². والهوية تتحول إلى هوية ثقافية عندما تستخدم لأغراض التمييز بين "نحن" و"هم" على أساس ثقافي. "إنها مجموع الظواهر التي بواسطتها يستطيع الفاعلون الاجتماعيون معرفة وتحديد مفهومهم عن ذاتهم"³. فهي إحساس الفرد بفردانيته ووجوده المختلف عن غيره، وهذا الاختلاف هو الذي يعرفه على نفسه في تحركه ضمن ثقافته، ويشعر إذا كان سويا بمدى اقترابه أو ابتعاده عن منظومة القيم المعيارية الثقافية المعتمدة في مجتمعه. وفي ارتباطها بالثقافة فإن "الهوية تتغذى من مصدرين هما الماضي الذي يشكل رواسب الانسان وروافده، باعتبار ان الانسان كما يقول هيجل ثلاثي الابعاد: ماضي وحاضر ومستقبل. والمصدر الثاني هو المجتمع او البيئة الاجتماعية كما يقول ابن خلدون: الانسان ابن

1 WWW.ar.Wikiped.org الموسوعة العربية الحرة. ويكيبيديا

2 عيسات وسيلة، الاتصال والثقافة في المجتمع الجزائري، صراع القيم التقليدية والعصرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، إشراف الاستاذ لقجع عبد القادر، جامعة وهران، 2010.

3 Geneviève Vinsonneau, Culture et comportement, 2^e Edition, CURSUS, Armand Colin, Paris, 2003, p179.

بيئته"¹. وتعرف الهوية Identité كمفهوم فلسفي تجريدي على انها الجوهر الثابت "او حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى ايضا وحدة الذات"². فالهوية إذا هي شبه واختلاف. يجعل الفرد يتحرك في ثقافته، كما أن ثقافته تتحرك فيه. إنها المكان الممثل للنا في نظر الآخر وللشخص نفسه"³، تدعوه تارة ليشبه غيره، وتدعوه تارة أخرى إلى إبراز فردانيته وعدم الذوبان في ثقافة مجتمعه ليؤكد وجوده كفرد في المجتمع، ومن جهة أخرى التمسك بثقافة مجتمعه ليميزها عن غيرها. فالهوية هي امتلاك مرجعية ثقافية بالإضافة إلى قدرة الفرد على الاندماج وتحقيق التجانس الداخلي، إنها جزء من الذات تتفاعل فيها مجموعة من العناصر أساسها اللغة والدين والقيم. "وتبرز الهوية الثقافية باعتبارها صيغة تحديد فئوي للتمييز بين نحن/هم، وهو تمييز قائم على الاختلاف الثقافي"⁴. فتفاعلنا مع الآخر يشكل جانباً مهماً في منظومة القيم التي نحملها وفي أنماط السلوك الصادرة عنا. "غير أن مسار التنشئة الاجتماعية إنما يبدأ من التفرد والإحساس بالحرية، أين ينمو الإحساس بالهوية والقدرة على الاستقلال في الفكر والفعل"⁵. ويميز علم الاجتماع بين نوعين، الهوية الجماعية، والهوية الذاتية⁶ وهما مترابطتان. فالهوية الجماعية تجمع بين الأفراد المتشابهين، أما الهوية الذاتية فهي تميز الفرد عن غيره، وهذا ما تقوم به البيئة الثقافية في تشكيل الهوية الفردية. "الثقافة هي التي تشكل الهوية الجماعية، إنها "نحن". ولا يمكن أن تكون هناك ثقافة بدون هوية جماعية والعكس، أو على الأقل بدون البحث عن هوية

1 دواق الحاج، سؤال الهوية والانية عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة، أعمال الملتقى الوطني الأول، جامعة الحاج لخضر، قسم الفلسفة، باتنة، 2010، ص 91.

2 المعجم الفلسفي، جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، الهيئة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، ص 208.

3 Benchehida Ahmed, Les paradoxes de la fonction scopique dans la personnalisation, Ed CRASC, 1995, p 162.

4 Denys Cuhe, La notion de culture dans les sciences sociales, Approches, Casbah édition, Alger, 1998, p 50.

5 أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، مركز دراسات الوحدة العربية، 2001، ط 4، ص 90.

6 Carmel Camilleri- Geneviève Vinsonneau, Psychologie et culture, Concepts et méthodes, Armand Colin, 2002, p22.

جماعية"¹. فإذا كانت الثقافة هي مجموع القيم والمعتقدات وأنماط السلوك التي يتميز بها مجتمع عن غيره، فإن الهوية هي جعل هذه القيم والمعايير قائمة بذاتها، أي جعل هذه الثقافة موجودة في الزمان والمكان من خلال تجسيدها في الواقع كتصورات وأنماط سلوك ضمن كل ما يشهده العالم من تحولات. "فهوية الانا تمثل علاقة حوارية (...). تتواصل الانا مع ذاتها كما تتواصل مع الآخرين، والوعي الذاتي يتأسس في نقطة تقاطع المستوى الافقي للتفاهم المشترك مع الآخرين، وفي نقطة تقاطع المستوى العمودي للتفاهم الذاتي مع ذاتها نفسها"² أي في العلاقة مع الآخر ثم الرجوع الى الذات في علاقة دياكتيكية للانا والآخر لكن دون ان يتم نسيان هوية الانا. ويؤكد ليفي ستروس Lévi-Strauss Cl. "أن الثقافات الإنسانية تنشأ الواحدة بالنسبة للآخرى في علاقة مع الغيرية على أساس الهوية"³. ولقد أصاب المفكر العربي محي الدين صابر عندما قال "أن الهوية الثقافية هي مبدأ ثابت، حق من الحقوق العالمية للشعوب. هي ليست مرادفا للعزلة والتقوقع، ولكنها تعني التعامل والتفاعل مع الحضارات الأخرى من منطلق القدرة على العطاء، التنوع... وهي ضد التماثل الثقافي، ضد الذوبان. إنها تقبل التعاون والتفتح، وتقبل الأنماط الثقافية العالمية، ولكنها في الوقت نفسه تدعو إلى تملك القدرة على الإسهام فيها، ذلك بتقوية مقوماتها الأساسية والحفاظ على قيمها..."⁴ و هو نفس مفهوم الحداثة. ومبدأ الثبات هنا لا نعني به السكون وعدم التغير، ولكن الثبات من حيث الخصوصية التي تميز المجتمع عن غيره. والهوية تسمح بتأقلم أفراد المجتمع مع المحيط، بينما ترد وترفض كل القيم المتعارضة مع مصلحة المجتمع. فهي خزان للحقائق الثابتة تؤلف إرثا كبيرا من عناصر تنوير الذات. وهو ما اكده افراد العينة كذلك في تصوراتهم لمفهوم الهوية على انها المحافظة على الثقافة الوطنية بالدرجة الاولى وذلك بنسبة 85,5%. ثم ثاني اختيار كان التغير والانفتاح على الآخر مع المحافظة على الخصوصية بنسبة 81,5%، تليها نسبة 68% تؤكد على ضرورة التغير لكن مع اخذ الحذر من قيم الثقافة الغربية بمعنى اخذ القيم الايجابية فقط، على اعتبار ان الهوية هي الدعامة الاساسية للأمن والاستقرار وهذا كان الاختيار الرابع

1 Mustapha Cherif, Jean Sur, Jacques Berque, Orient- Occident, Edition ANEP, Alger, 2004, p 128- 129.

2 يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل، ط1، مصر، 2001، ص 189.

3 Mondher Kilani, Introduction à l'anthropologie, Edition PAYOT, Lausanne, 1989, p 277.

4 شحاذة الخوري، الترجمة قديما وحديثا، دار المعارف، سوسة، تونس، 1988، ص 183.

بنسبة 63,5%. (يمكن الرجوع الى الملحق). فما نلاحظه هو وجود علاقة بين تصور الهوية عند الشباب والمستوى الدراسي، بحيث انه كلما زاد المستوى الثقافي والعلمي للشباب، كلما ازداد وعيهم بضرورة الانفتاح على الآخر والتغيير لكن مع المحافظة على الهوية الوطنية. فالهوية لا تعني التخوف من التغيير ورفضه ومقاومته وهذا كان الاختيار السادس الذي عبرت عنه نسبة بسيطة وهي 11%، وفي نفس الوقت لا تعني الانغلاق وعدم التواصل مع الآخر وهو ما اكد عكسه الشباب، وما عبرت عنه الاقلية البسيطة جدا وهي 1,5%. وبالتالي نفس الافراد الذين يسعون الى التغيير والحدثة على وعي تام بأهمية المنظومة الثقافية القيمية للمجتمع في تشكيل الهوية الوطنية رغم كل التحولات والتحديات والتأثيرات التي يشهدها هؤلاء الشباب، وذلك من خلال تحديد الشباب للأولويات الثقافية داخليا وخارجيا، وبالتالي استحضار الهوية في مختلف الخطابات بما يتسق مع هوية المجتمع وطموحات افرادة، ورغبتهم في تغيير الوضع القائم بتغيير الافكار اولا، ومن ثمة استيعاب التحولات والتأثيرات من خلال قدرتهم على تمثيل هوية المجتمع، واحداث التمازج والتناغم الثقافي، وتمثل هذه الهوية فيما يمكن أن نسميه بنسق القيم الأساسية للثقافة الذي ينبثق من النظام السائد، والذي يشمل كل أنحاء الثقافة ويتسرب إلى كل جزء منها. فالعلاقة بين الثقافة والهوية قائمة على اساس العلاقة بين الذات وعملية انتاج الثقافة، اي بروز الذات الفاعلة والمفكرة. بمعنى ان الهوية تنشأ داخل الاطار الثقافي والاجتماعي الذي يحدد موقع الفاعلين وتصوراتهم ويوجه سلوكياتهم. "كما يرى الكس ميتشيلي Mucchieli أن الهوية هي عبارة عن مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي"¹. وفي هذا الصدد وبملاحظة وضعية الثقافة في الجزائر المتغيرة، والتي هي عبارة عن مساحة للتناقضات، وبما أن الهوية عبارة عن مركب من العناصر التي تمثل الثقافة، فهل هناك فعلا أزمة هوية في الجزائر تعود إلى الأزمة الثقافية؟ فالثقافة متغيرة وبالتالي فالهوية متغيرة و متجددة.

2- مظاهر الهوية وتمثلاتها لدى الشباب الجزائري:

مكونات الهوية الثقافية للمجتمع متعددة ومن اهمها اللغة، الدين، التقاليد والاعراف والتاريخ... قمنا بالاختصار في هذه الدراسة على مكونين اثنين فقط هما الدين

1 نور الدين بومهر، العولمة وإشكالية الهوية (الهوية العربية نموذجا)، فعاليات الملتقى الدولي، الجزائر والعولمة، جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، نوفمبر 1999، ص 55.

واللغة للتعرف وفهم مكانة هذين العنصرين وأهميتهما في تكوين شخصية وثقافة الشباب الجزائري، وكذا أهميتهما في تحديد الهوية الوطنية. يقول المفكر عابد الجابري "أن الجواب الصحيح عن السؤال ما العمل؟ سواء إزاء الثنائية والانشطار الذين تعانیهما الثقافة العربية، أو إزاء الاختراق الثقافي واديولوجية العولمة، يجب أن تنطلق وقبل كل شيء من العمل داخل الثقافة العربية نفسها، ذلك لأنه سواء تعلق الأمر بالمجال الثقافي أو بغيره، فمن المؤكد أنه لولا الضعف الداخلي لما استطاع الفعل الخارجي أن يمارس تأثيره بالصورة التي تجعل منه خطراً على الكيان والهوية"¹. وهذا بعد ما يؤكد أن هدف العولمة هو إلغاء الهويات والخصوصية الثقافية للمجتمعات. فكل من يلاحظ واقع المنظومة الثقافية والقيمية في المجتمع الجزائري ومحاولة المزج بين الثقافة التقليدية وقيم الحداثة خاصة لدى الشباب، يؤكد أن هناك أزمة ثقافية، تتضمن في صلبها أزمة هوية من خلال التحولات العميقة التي تطرأ على الذات الجمعية. أي أن الشباب سيكونون حتماً منقسمين على أساس المزيج القيمي الذي يشهده المجتمع بين قيم الثقافة التقليدية والغربية الحداثية، وبالتالي لن يكون هناك حس بالهوية الوطنية، أو بالأحرى أن الهوية الجزائرية تحمل في طياتها مكونات مختلفة ستؤدي حتماً إلى خلق نوع من الصراع والذي قد يوصل إلى أزمة هوية. فكان البحث عن الهوية التي ولد من أجلها هذا الصراع دون مراعاة المتغيرات التي طرأت على تلك الهوية بفعل الامتصاص القيمي، ومن خلال التناقض الذي صار شديداً بين هوية الجزائر الأصلية والهوية المعاصرة. لكن ما أكدته نتائج الدراسة كان العكس تماماً. فبالرغم من رغبة الشباب الوصول إلى الحداثة وتبني قيم جديدة حديثة، إلا أن هناك رغبة في نفس الوقت في المحافظة على قيمهم التقليدية التي تشكل في الأساس مصدر هويتهم. وهنا نتفق مع وليام كواند Quandt الذي يؤكد أن "وبصفة عامة، الجزائريين لهم حس قوي بهويتهم، وهذا إلى حد كبير بسبب طبيعة نضالهم من أجل الاستقلال" ويضيف في محل آخر "رغم ما صرح به كثير من الملاحظين، فالجزائريون لا يظهر أنهم

1 محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات، مجلة المستقبل العربي، بيروت، عدد رقم 228، فيفري، 1998، ص 21.

منقسمين بشكل ضيق حول المسائل الثقافية. بل يشتركون كلهم في هوية جزائرية، ولا توجد حركة انفصالية...¹.

1-2- اللغة كأساس للهوية:

ما شد انتباهنا في المجتمع الجزائري هو ظاهرة المزج اللغوي التي تتخذ من مزج اللهجة الجزائرية بالعبارات والكلمات الفرنسية أداة تخاطب وتواصل بين الجزائريين، وهي حالة لا تعبر فقط على ميراث استعماري بل أكثر من ذلك إنها الرغبة في التوازي مع متطلبات التكنولوجيا والعصرنة والحدثة، وهو ما يدفع إلى ضرورة تقنين وتنظيم هذه الظاهرة (التعدد والازدواج اللغوي) بطريقة تخدم مصلحة المجتمع ككل. فاللغة ظاهرة اجتماعية وموضوع مسائلات فلسفية ومنطقية، تعمل على حفظ الموروث الثقافي للأمة ونقله من جيل لآخر، وتحصيل التراث والمعارف الأخرى التي يحتاجها الإنسان. فالمنظومة اللغوية " ليس فقط مفرداتها بل أيضا تراكيبها تؤثر في طريقة رؤية أهلها للعالم وفي كيفية مفصلتهم له، وبالتالي في طريقة تفكيرهم. إننا نفكر كما نتكلم الشيء الذي يعني قدرتنا على الكلام هي نفسها التي تحدد قدرتنا على التفكير"². فالفرد يتأثر باللغة التي يتكلمها ويمتد هذا التأثير إلى تصورات ونمط تفكيره وسلوكاته، لأنها تشكل جزءا مهما من ثقافته. أي أن هناك علاقة وطيدة بين اللغة والثقافة ذلك لأنها ليست مجرد وسيلة للتخاطب والتواصل بل هي أداة لنقل الثقافة ووعاء لجميع ما تشمله هذه الثقافة من عادات، تقاليد، طرق تفكير، قيم، أنماط سلوك وتصورات ومناهج حياة...

فالاندماج في ثقافة والامتثال لها هي قبل كل شيء معرفة لغتها والامتثال والاندماج فيها³. فاللغة بهذا هي وعاء الثقافة والأداة الأساسية في عملية التنشئة الاجتماعية، التي يتم من خلالها بناء الفرد بما يتلاءم مع انتماءه وهويته وثقافة مجتمعه. وهي أهم مظاهر الثقافة باعتبارها خاصية إنسانية تنجم عن ظواهر الفكر وتصورات. فاللغة تمثل أرضية المشاركة بين الذات (...). إنها الوسط الذي تشارك فيه

1 Quandt.W, Société et pouvoir en Algérie, La décennie des ruptures, Casbah, Alger, 1998, p 216.

محمد فريد عزي، الأجيال والقيم، مقارنة للتغير الاجتماعي والسياسي في الجزائر، أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع - 2008، ص 199،

2 محمد عابد الجابري، تكوين العقل البشري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 5، 1991، ص 77.

3 Jean-Pierre Warnier, La mondialisation de la culture, Repère, La Découverte, paris, 1999, P8.

الذوات، ليس فقط في المعنى الادراكي وإنما في المعنى الشامل لرؤيا انفعالية (...) يضمن لنا الفهم المتبادل، المشاركة التي تقوم بين الأفراد¹. وانطلاقا من هذه القاعدة خلق الاستعمار في المجتمع الجزائري تمزقا في الفكر والثقافة واللغة، وهو ما ظل قائما إلى وقتنا هذا من خلال الامتزاج أو الازدواج اللغوي. فلقد عمدت فرنسا على نشر اللغة والأفكار الفرنسية.

إذ يقول مالك بن نبي في كتابه "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"² "لقد أحدث الاستعمار العديد من الظواهر. ومن بينها ظاهرة خاصة نتيجة للظواهر السابقة وهي ظاهرة الازدواج اللغوي التي ترك أثرها ومفعولها المباشر على الظواهر الثقافية في البلاد. أول هذه البلدان مصر (...). والبلد الثاني الذي يعيش ازدواجية لا مثيل لها في العالم هو الجزائر، وهو واضح جدا بمجرد ملاحظة الواقع خاصة بالنسبة للشباب، حيث إنها لم تتوقف عند حد المجال الفكري الجامعي وإنما امتدت إلى كل المجالات الحيوية الأخرى والحياة اليومية للمجتمع. فاستعمال اللغة الفرنسية مثلا ليس لأنها معيار للحداثة أو التقدم بالدرجة الأولى بل نتيجة للاستعمار الفرنسي وهو ما أكدته نتائج الإجابة على السؤال رقم 9. تقريبا كان هناك انقسام إلى فئتين. الفئة الأولى هي 49,5% تعتبر استعمال اللغة الفرنسية كمعيار للحداثة، وربما ذلك قد يرجع إلى العلم والتقنية التي تقوم في الأساس على اللغات الأجنبية. مقابل الفئة الثانية وهي 50,5% التي ترى العكس، أن استعمال اللغة الفرنسية لا يعتبر معيارا للحداثة. ما يؤكد أن هذا المزج والازدواج اللغوي هو نتيجة التأثير بالمرحلة الاستعمارية. وبالتالي فالازدواج هنا هو أخطر بكثير لأنه تحول إلى ازدواج شعبي على مستوى القاعدة العريضة للمجتمع. وبعد خروجها من مرحلة الاستعمار عانت الجزائر طويلا من مسألة اللغة وعلاقة اللغة بالهوية.

لكن السؤال المطروح في هذه الحالة هو تصور الشباب للغة في خضم هذا المعتزك من التحولات، ووعيمهم بأهميتها في تشكيل الهوية...؟ فما بينته النتائج هو نفسه ما نلاحظه في الواقع وهو أن اللغة المستعملة هي اللهجة بنسبة 50,5% لكن داخل هذه

1 يورغن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل، مصر، ط1، المانيا، 2001، ص188.

2 مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة، أحمد شعوب، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1988، 2002.

اللهجة نجد أن هناك مزيج بين اللغة العربية والفرنسية أو مجرد مصطلحات فرنسية، وهو ما تأكده نسبة 31%، مقابل 11% ممن يتكلمون اللغة العربية الفصحى، ونسبة قليلة وهي 7,5 % يتحدثون باللغة الفرنسية، لكن حتى هذه النسبة الأخيرة تكون في بعض الأحيان عبارة عن خلط بين العربية والفرنسية. فهل هذه ميزة إيجابية أم سلبية باعتبارها مؤشر أولي وأساسي للمثاقفة. إذ يقول مارك ريشل "مفهوم السلوك الأكثر تعبيرا من وجهة إكلينيكية تبقى اللغة. يمكن أن نقول أن إصابة الخطاب في مجتمعاتنا يترجم جيدا حالتهم المرضية"¹.

فكل مرة تظهر اللغة بشكل جديد معبرة عن أزمة. كما يقول غرامشي Gramsci "كل مرة تظهر بشكل أو بآخر إشكالية اللغة، هذا يعني أن هناك مجموعة من المشاكل في طور التكوين والطبقة الموجهة الضرورية لوضع روابط أكثر متانة، وأكثر جدية بين الجماعات الموجهة والطبقة الشعبية الوطنية أو بمعنى آخر عندما يكون إعادة تنظيم الهيمنة الثقافية"². وهو ما يؤكد شكل اللغة السائد في المجتمع الجزائري، والذي يعبر ربما عن بداية حدوث نوع من التفكك في الفكر والثقافة. لكن وبالرغم من أن اللغة المستعملة عبارة عن لغة مركبة من لهجة جزائرية وعبارات فرنسية، وهو عنصر من العناصر التي تعكس واقع الثقافة في المجتمع الجزائري، إلا أنه في الإجابة عن سؤال 13 حول ما إذا كانت هناك إمكانية استبدال اللغة العربية بلغة أخرى أجنبية، عبر 86 % عن معارضتهم لاستبدال اللغة العربية بلغة أخرى، مقابل 3,5% ممن يوافقون وهي نسبة بسيطة جدا، في حين نسبة 10,5 % من الشباب لا يهتمون لذلك، وبالتالي ما يهم هو أعلى نسبة والتي تشكل تقريبا كل العينة. فبروز هذه النسبة الضخمة 86 % والتي تعبر عن التمسك باللغة العربية تعكس فعلا ما كان متوقعا من الإجابة عن هذا السؤال. فبعد ملاحظة الازدواج اللغوي للشباب وهذا الاستعمال المفرط للغة المختلطة المركبة، كنا نتوقع عدم المبالاة حول استبدال اللغة العربية بالنسبة للأفراد، لكن النتيجة كانت العكس. وهو ما يؤكد لنا وعي الأفراد بمكانة اللغة وأهميتها بالنسبة إليهم كمعلم من معالم الثقافة، وكأساس للهوية

1 Chadly Fitoury, L'acculturation premier facteur du sous-développement, Revue international des sciences sociales, Vol 21/7/1969/N°3, P 52.

2 Mustapha Madi, Elites et question identitaire, Réflexion Casbah, Alger, N°1, 1997, P 11..

الثقافية للمجتمع الجزائري، كما يعبر لنا عن البعد العاطفي للثقافة والهوية الوطنية وأهمية اللغة في تحقيق ذلك.

لكن ينبغي أن نعي أن الثقافة في جوهرها هي طريقة حياة وممارسة لا تنحصر في القضايا المعنوية فقط. إنها مرآة الأمة، وعلى هذا الأساس يجب إعادة النظر بشأن اللغة وأهميتها والتعامل معها أساسا كوسيلة للثقافة لا غاية، وإعطاء الأهمية الأولى للمعنى لا للفظ، أي لابد من محاولة استخلاص وفهم المعنى أولا. ويمكن اعتبار الثقافة كمجموعة من الأنظمة الرمزية أين تتمركز اللغة في المرتبة الأولى (...). فبواسطة اللغة يمكن للفرد صياغة أفكاره، التعبير وإظهار انفعالاته، يؤثر ويتأثر بغيره من أفراد المجتمع الذي ينتهي إليه، أنها أساس المجتمع الإنساني بثقافته وقيمه وهويته.¹ فاللغة لا تعني الأصوات والصرف والنحو أو علم الدلالة فقط، إنها نتاج ثقافي، وحدة الفكر والروح والقيم، وهي أساسية في تكوين هوية الثقافة وترابط عناصرها، وثناء بنيتها من الناحية الرمزية والدلالية. فالتعلم أو التكلم بلغة أخرى لا يرتبط بمسألة إلغاء الهوية ولا يقلل من شأن الانتماء إلى ثقافة معينة، بل يتخذ الأفراد من هذه اللغة جسرا يمكنهم من بلوغ الآخر والتواصل معه بلغته الأصلية وبالتالي تعزيز هويتهم.

فلا يمكن نفي العلاقة بين اللغة والهوية التي هي من أبرز مركباتها. فاللغة تأتي كأحد أهم العناصر في تكوين وتحديد الهوية في المجتمع الجزائري لأهميتها ودورها في تحديد هوية الفرد والمحافظة عليها. فهي ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي لب وجوهر الفرد. "فاللغة ليست شكلا أو أداة فحسب، بل هي محتوى أيضا، إنها قالب تصاغ به الأفكار"² وعامل محوري في تشكيل الهوية. واللغة ظاهرة اجتماعية تتطور باستمرار كأني نشاط إنساني آخر، فهي ليست جامدة بل تتغير لأنها تستعمل من قبل أجيال تواجه عالما آخر ومفاهيم أخرى. وهذا ربما ما يفسر استعمال اللغة الفرنسية لدى الشباب. فهذا لا يعبر على فقدان للهوية وإنما يكون اثرًا للهوية والثقافة إذا ما نظرنا إلى ذلك من الجانب الإيجابي. ولقد اعتبر دو سوسير Ferdinand de Saussure

1 Jean Caune, Culture et communication Convergences théoriques et lieux de médiation, PUG, 1995, p 15.

2 سؤال الهوية والانتماء عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة، مرجع سابق، ص 184.

اللغة مؤسسة اجتماعية وهي نسق منظم من العلامات للتعبير عن الأفكار¹. وهي كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار والنمو. يعني حتى اللغة تتغير وتتطور، وتكتسب قيمتها الاجتماعية من كونها مادة للتفكير والتعبير والاتصال بشكل أدق لا أداة. واللغة هي هوية المجتمع وثقافته، لكن في نفس الوقت لا يعني ذلك الانغلاق. فكل المجتمعات المتطورة اعتمدت على لغتها في إبراز وتحقيق هويتها والمحافظة عليها. فالتخلي عن اللغة الأصل نوع من فقدان الهوية والذات وتأصيل التبعية وهو ما يرفضه الشباب ويحاولون تجنبه في عملية التغير. فالعلاقة بين اللغة والثقافة والهوية عميقة، ذلك لأن اللغة ليست مجرد وسيلة للتخاطب والتواصل، بل هي أداة لنقل الثقافة، ومن ثمة كمحور أساسي للهوية. فاللغة لها علاقة متينة بالثقافة، والثقافة لها علاقة بالهوية، ذلك أن الفرد يتأثر باللغة التي يتكلمها، يمتد هذا التأثير إلى تصورات وسلوكياته.

2-2- الدين كمصدر للهوية لدى الشباب

من خلال هذا الجزء نحاول فهم المنطق الذي يحكم السلوك الديني والهوية الدينية، كيف أن البعد الديني مرتبط ببناء الهوية لدى الشباب من خلال مختلف التغيرات التي يشهدها المجتمع الجزائري. فالاهتمام بهذا الموضوع من خلال ما ترسخ في الحس المشترك وملاحظة بعض مظاهر التغير الاجتماعي في سلوك الشباب، وتأثير ظاهرة العولمة وثورة الاعلام والاتصال بما تسعى إلى نشره من قيم، هذه المظاهر التي لا يمكن أن نتحدث فقط على سلبياتها وإنما كذلك من خلال تعميقها لوعي الشباب مما أدى إلى انبثاق رؤية جديدة لديهم حول قيمهم الدينية وهويتهم مقابل مختلف التغيرات والتأثيرات الخارجية. ما انعكس على تصوراتهم للظاهرة الدينية في الحياة اليومية، ما يدفع لفهم واقع الدين لدى الشباب الجزائري، وما مدى ارتباطه بالمنظومة الثقافية والهوية الوطنية، كون أن فئة الشباب لها الأهمية الديمغرافية الأولى في المجتمع الجزائري، كما أنها الفئة الرئيسية في أي عملية من عمليات التغير الاجتماعي، وهي الاطار الأمثل للبناء الرمزي للهوية الاجتماعية، الثقافية والدينية بحكم انشغال هذه الفئة أكثر من غيرها بالبحث عن الهوية وتشكيلها...

1 Armand et Michèle Mattelart, Histoire des théories de la communication, Collection REPERE, La Découverte, Paris, Troisième édition, 2004, P46.

فالدين هو المؤثر في سلوك الفرد في المجتمع الجزائري وعلى رأسهم الشباب. وبما أن المجتمع الجزائري ينتهي إلى المجتمع الإسلامي، فالمكون الرئيسي لخصوصيته الثقافية والقيمية وهويته هو الدين بجانبه الروحي الذي يحدد ويضبط القيم ويسير أفكار الشباب ويؤثر في قواعد السلوك، ومن ثمة الجانب التطبيقي للدين أو الممارسة. فإذا لاحظنا على المستوى النظري فإن القيم السائدة في المجتمع الجزائري هي تلك المستمدة من الدين الإسلامي. لكن الواقع ربما يبين لنا في بداية الأمر صورة أخرى مغايرة تماما في ظل كل ما يشهده المجتمع من تحولات وتأثيرات خارجية، وانتشار لقيم جديدة مختلفة ومتعارضة مع ثقافته وقيمه كالعولمة بتكنولوجياتها الحديثة المختلفة، والتي لا أحد يستطيع أن ينكر تأثيراتها سواء السلبية أو الايجابية، خاصة على فئة الشباب، وكيفية تعاملهم معها للمحافظة على القيم الدينية التي نشأوا عليها.

فاهتمامنا قائم على البحث في استراتيجية وتصورات الشباب في حد ذاتهم عن أنفسهم، وكيف يحاولون المحافظة على قيمهم الدينية مقابل قيم العولمة والحدثة، من خلال تصوراتهم للدين كأهم عامل في تشكيل الهوية. فالتساؤل المطروح هو كيف يمكن التوفيق بين الاسلام المعطى الأصلي الثابت للهوية وبين مقتضيات العصر وتغيراته؟¹ فالدين يلعب دورا أساسيا في حياة الفرد الجزائري بحكم ثقافته العربية والإسلامية. والأزمة تكمن في الأساس في تأثير العولمة والحدثة الغربية. فالدفاع عن الدين هو بمثابة الدفاع عن الهوية الثقافية، عن الأصالة، والموروث ككل، ولهذا فالمجتمعات الاسلامية هي الأكثر وعيا بهويتها، فبالنسبة لها فإن التخلي عن القيم الثقافية معناه التخلي عن الدين أو الهوية الدينية². فهو معنى الوعي كطريقة للحياة بين ما هو مادي وما هو معنوي، وهو الوحدة الهامة كعامل من عوامل ترابط الشعوب. "فبالإضافة إلى أنه ظاهرة اجتماعية فهو يهدف إلى بناء البنيات والعلاقات والسلوكات الاجتماعية التقليدية في الوسط الحضري"³ ومختلف الأوساط وميادين الحياة الاجتماعية للفرد. فالدين في الوقت الحالي خاصة بالنسبة للأجيال الجديدة الشابة أخذ منحنى مغاير عن النظام التقليدي، وهو ما تأكد مع الأستاذ فريد عزي الذي توصل إلى أن عامل التعليم لم يكن تأثيره فقط على الأجيال بل تجاوز ذلك ليعيد

1 سؤال الهوية والانتماء عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة، اعمال الملتقى الوطني الاول، مرجع سابق.

2 Oliver Roy, La Sainte Ignorance, Le temps de la religion sans culture, Edition de Seuil, paris 8, P176.

3 Mustafa Boutefnouchet, Système social et changement social en Algérie, OPU, p 81.

تشكيل الحقل الديني برمته في الجزائر. فتمكن الشباب بفعل التعليم من الاطلاع المباشر على المصادر الدينية المكتوبة، مكنهم من اكتشاف حقل ديني واسع ومتنوع، وأن الاختيارات الدينية داخل الحقل الإسلامي متعددة، وهذا سمح لهم بممارسة إسلام يختلف عن إسلام آبائهم وفي بعض الأحيان في قطيعة معه. ومن هنا يكتسي هذا الاختلاف صراعا بين الجيلين¹. بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام والاتصال خاصة الفضائيات والانترنت من خلال القنوات العربية التي أصبح الاهتمام عليها متزايدا بنسبة 41.5 % بما تحتويه من برامج دينية. وهي القنوات الأولى التي يهتم بها الشباب الجزائري والتي تساعده في معرفة والاطلاع على التعاليم الدينية واكتساب القيم الأخلاقية. ثم تلها القنوات الدينية بنسبة 25% والتي أصبح الشباب يتهافت على متابعتها لاكتشاف الدين الإسلامي وقيمه. وهو ما حاولنا معرفته من خلال طرح كذلك السؤال رقم 67 على الشباب كسؤال أولي لمعرفة مكانة الدين في تصورهم.

فكانت النتائج متوقعة ومتقاربة. إذ نجد أعلى نسبة 36 % ترى أن تطبيق مبادئ وشعائر الدين الإسلامي هي عملية ضرورية، ثم تلها ثاني نسبة 34,5 % تقول أنه اختياري. لكن تبقى كلمة اختياري مفهوم ناقص وغير واضح وربما الأمر يتعلق بالنسبة للمستجوبين بعدم الاكتراث لبعض القيم الأخلاقية، أو بالنسبة لتطبيق بعض الشعائر الدينية، ثم ثالث نسبة وهي 29,5% تقول أن تطبيق الشعائر الدينية اجباري، وربما الاجباري في هذه الحالة لا يقصد به التعصب في المعاملة أو في تطبيق الدين وإنما المحافظة على القيم التقليدية الدينية والتي نشأ عليها واكتسبها الشباب من مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية بما في ذلك الأسرة. لكن يبقى الدين ضرورة في حياة الفرد يستند إليه كقيمة موجبة لسلوكهم وتصوراتهم. والأکید هو وعي الأفراد بمكانة الدين الحقيقية، وأهمية القيم الدينية في تشكيل الهوية. وهو ما يعكس المكانة الهامة التي يحتلها الدين في حياة الفرد الجزائري باعتباره من مقومات الشخصية والهوية الوطنية، لما تلعبه القيم الدينية من دور في تحديد الرابطة الاجتماعي، مع التأكيد على نقل هذه القيم وحضورها بشكل أو بآخر في مختلف مجالات الحياة اليومية من الأسرة إلى التعليم إلى السياسة، بل حتى في مجال البحث العلمي نفسه².

1 فريد عزي، الأجيال والقيم، مرجع سابق، ص 196.

2 مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 406، عن L. Mohamed Brahim Sahli، anthropologie et les sciences sociales en Algérie، Elément pour un débat، In Nouria Benghabrit-Remaoun et Mustafa

إذ أصبح مؤخرا الاهتمام بالظاهرة الدينية كبيرا جدا. إنه حركة تعبر عن مطالب ثقافية ترتبط بالهوية الاجتماعية وثقافة المجتمع، "من أجل ربط الأمة والمجتمع مع ماضيه التاريخي والثقافي الذي انقطع طيلة الفترة الاستعمارية، وحيث عمد الاستعمار الفرنسي إلى تشويه الهوية ومسح التراث الثقافي للمجتمع الجزائري"¹، وعليه يتأكد لنا وعي الأفراد بمكانة اللغة والدين الإسلامي كمعلمين أساسيين في تحديد الخصوصية الثقافية والهوية الوطنية. فهوية الشباب الجزائري تظهر حتى من خلال التناقض الذي يعيشه بين قيم الثقافة التقليدية والعصرية ما يظهر من خلال تمسكه بالقيم التقليدية والدينية خاصة ومواكبة التغيير. فالتمسك بالقيم الدينية بالنسبة للشباب لا يساهم في التخلف ولا يتعارض مع الحداثة ما عبرت عنه نسبة 74%.

ولتعزيز المنظومة القيمية والدينية والهوية الوطنية وفي نفس الوقت تحقيق معنى الحداثة الصحيح، لابد من أن نبدأ بغرس هذه القيم الأصلية التقليدية للمجتمع لما لها من تأثيرات على الشباب، وهو الدور الذي تقوم به مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلى رأسها الأسرة. وكذا لأنه ينظر إلى القيم الثقافية التقليدية الدينية باعتبارها الأساس الذي تبنى عليه شخصية وخصوصية وهوية الفرد والمجتمع ككل. فالسعي إلى تبني الحداثة والتغيير لا يمكن أن يتم خارج نطاق التقليد والتراث أي الدين والغاء الهوية. إذ تعمل الأسرة جاهدة على نقل القيم التقليدية الأصلية للشباب وترسيخها خاصة ما يتعلق بالقيم الدينية كما ذكر ذلك الاستاذ عبد القادر لقعج. فالاتجاهات الدينية هي التي تشكل المكون الرئيسي لنظام القيم التي يتلقاها الشباب من الأسرة، وفي نفس الوقت في علاقات الشباب بالنسبة لطرق العيش في المجتمع والقواعد التي تسيرها وتنظمها (...) فأسس التنشئة الدينية تمر عبر الأسرة كمرحلة أولية² بمعنى أن القيم الدينية التي يتبناها الشباب في المجتمع الجزائري مصدرها الأول هو الأسرة، وهو ما أسماه الاستاذ فريد عزي بعملية التواصل الديني لفهم تطور القيم والمواقف الدينية. فما هو وضع ومكانة الدين لدى الشباب الجزائري؟ هل يمكن التغيير

Haddad (dirs), Alger 50 ans après, Etat des savoirs en sciences sociales et humaines 1954- 2004, Actes de Symposium 2004, Ed CRASC, Oran, 2008, PP 85- 89

1 محمد فريد عزي، الأجيال والقيم، مرجع سابق، ص 170.

2 Lakjaa Abdelkader, in Hervé Cellier, Abla Rouag-Djenidi, Algérie-France, Jeunesse, Ville et Marginalité, Chihab éditions, 2008. PP 52-53.

وبناء الحداثة والمحافظة على الهوية الوطنية انطلاقا من أسس دينية في تصور الشباب...؟

الدين بالنسبة للشباب في المجتمع الجزائري يعتبر من أهم أسس تشكيل الهوية. وعلى سبيل المثال لا الحصر وجدنا أن المفكر مولود قاسم كان على وعي بأن أهم فئة يجب أن تتخذ من الدين الاسلامي منهجا لها في الحياة هي فئة الشباب، التي تسعى دوما إلى التغيير وتعيش وسط مغريات التطور التكنولوجي والعولمة. وتبحث دوما على كل ما هو جديد، وكأنها تعيش رهانا بين القيم التقليدية والدينية ومغريات التطور العلمي والتكنولوجي... فالشباب يسعى إلى التغيير والتجديد باستعمال هذه الثورة العظمى في الاعلام والاتصال والتكنولوجيات، لاكتشاف والتعرف على القيم الدينية أكثر، أي أن هناك نوع من بداية الوعي لدى الشباب بأهمية إعادة قراءة وفهم الدين وبطريقة صحيحة.

لذا نجد خطاب مولود قاسم موجها دوما إلى الشباب باعتبارهم أساس المستقبل قائلا "نريد شبابا متمسكا بدينه، وحافظا لمقومات شخصيته، وواعيا بإنيته وهويته وأصالته، وفخورا بتعلقه بذلك كله، لا مباهيا بتقصيره فيه وتجرده عنه"¹. ويرى فرحات عباس أنه لا بد من احترام الحضارة الاسلامية واللغة العربية، وكان يركز على نقطة احترام الاسلام باعتبارها مسألة جوهرية في مجال الترقية الاجتماعية بالجزائر، ويرى أن النموذج الياباني الذي يجمع بين الأصالة والتقدم العلمي هو خير مثال في هذا المجال. كما كان يرى أن أهم أسباب التخلف وتضييع الوقت هو في معاكسة تقاليد الشعوب² والتخوف والانغلاق تحت غطاء المحافظة على الهوية. لكن ما أوضحته النتائج هو مدى وعي الشباب بأهمية اللغة والدين في تشكيل الهوية، والبناء والتغيير انطلاقا من هذين العنصرين، أي التغيير مع المحافظة على مقومات الثقافة والهوية.

فالمجتمع الجزائري نجح في بناء هوية جزائرية واضحة وأمة موحدة (...). كما دافع على هوية إسلامية جزائرية حديثة (أي هوية جديدة قائمة على أسس دينية، تقليدية وحديثة معا على اعتبار أن الهوية متغيرة مع تغير وتحول ثقافة المجتمع وليست جامدة أو ثابتة ترفض التغيير) (...). فالمجتمع الجزائري الفتى كانت له السلطة

1 مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، منشورات وزارة التعليم الاصيل والشؤون الدينية، 1975، ص 120.
2 Abbas Ferhat, Le jeune algérien, La jeune parque, Paris, 1931, P132.

والوسائل لصياغة هوية جديدة تلحم بين الإسلام والعالم الصناعي الحديث¹، وبالتالي فعملية البناء على ما هو موجود ليست وليدة الساعة، وإنما تعد من أسس السياسة الحداثية في الجزائر منذ القدم. فالدين الاسلامي يقول أركون صالح لكل وقت ولكل مرحلة من التاريخ².

3- إشكالية الهوية وأزمة القيم في تصور الشباب:

تطرح إشكالية الهوية نتيجة لمجموعة من المتغيرات أبرزها التحولات والتغيرات والتأثيرات الخارجية التي يشهدها المجتمع الجزائري، والتي أصبحت تمس بنياته الثقافية والقيمية التقليدية. فالأفراد باتوا في مواجهة للتدفق الثقافي والقيمي لعولمة حداثية³. فلقد ساعدت الثورة العظمى في الاعلام والاتصال والتكنولوجيات الحديثة وعلى رأسها الفضائيات والانترنت، الشباب على اكتشاف ذاتهم وقيمهم الدينية، والوعي بمدى أهميتها في بناء المنظومة القيمية للمجتمع، والوعي بأهم خصوصياتها وأهم القضايا التي يمكن أن تمس ثقافتها وهويتها سواء ايجابيا أو سلبيا. ففي عمق هذا الوعي انبثقت لدى الشباب الجزائري معالم الوعي بالذات والمجتمع ومنظومته التقليدية بما تحمله من خصوصية، و الوعي بالآخر وضرورة التحوار والتفاعل معه وفهم ثقافته، وفي نفس الوقت المحافظة على الهوية الوطنية. هذه الهوية التي لا يمكن أن تصنع أو تنتج، وإنما تظهر من خلال اشتداد الظروف والتغيرات التي يمكن أن يعيشها ويشهدها المجتمع الجزائري، والتي يمكن أن تتأثر في حالة حدوث الصراع القيمي.

هذه التحولات المتسارعة والمتفاوتة كذلك لم تكن في بعض الأحيان داخلية المنشأ، بل جاءت من الخارج نتيجة لمجموعة من العوامل كالعولمة، الانفتاح على العالم، الثورة العظمى في الاعلام والاتصال والتكنولوجيات الحديثة... هذه التكنولوجيات هي أساس ديناميكية التواصل بين الثقافات المختلفة من خلال انتشار التقنية⁴ إضافة إلى رغبة الشباب الجزائري المستمرة والدائمة في التغيير وتبني قيما

عن محمد فريد عزي، 1 Kepel.G, Jihad, Expansion et Déclin de l'Islamisme, Gallimard, 2000, P169, الأجيال والقيم، مقارنة للتغير الاجتماعي والسياسي في الجزائر، مرجع سابق، ديسمبر 2008، ص 175.

2 Religion, (Arkoun), Tome 2, Encyclopedia Universalis, France, 2010.

3 Jean-Pierre Warnier, La mondialisation de la culture, Repère, La Découverte, paris, 1999. P22.

4 Jean-Pierre Warnier, La mondialisation de la culture, Op cit, P25.

جديدة. فما هي إذا تصورات هؤلاء الشباب لهذا التغيير وما هي الاستراتيجية التي سيتبناها في مسار التغيير للمحافظة على الخصوصية الثقافية والهوية الوطنية؟ كيف يحاول الشباب الجزائري التأسيس لهويته في ظل مختلف التغيرات والتأثيرات الخارجية؟ ما مدى وعيهم وتصورهم للوصول إلى التغيير في ظل الهوية التي تتأرجح بين الثبات والتغيير في علاقتها بالعملة والحدثة...؟

إنه وبالرغم من هذا الازدواج الثقافي والقيمي إلا أن ذلك لم يؤدي إلى أزمة هوية في المجتمع الجزائري، بل إن الجزائريين عامة والشباب خاصة يملكون حسا عاليا بهويتهم. لكن رغم ذلك يبقى التأكيد على أن الهوية الثقافية لا تتشكل بالتقليد والاستلاب والتبعية التي قد تحدث من جراء مجموعة من الظواهر كالعملة، ولا بالتقوقع والانغلاق على الذات والثقافة... بل تتشكل من العطاء والتجديد والخلق، على اعتبارها جزء من فكرة الثقافة. فالهوية ليست عامل تجزئة أو انغلاق على الذات، وإنما يقوم الفاعلون الاجتماعيون بالتعرف على ذاتهم من خلال علاقاتهم مع الآخر عن طريق الديناميكية المستمرة والدائمة، والتي تتطابق مع العناصر المحيطة في المجتمع المختلفة، والتي تؤدي إلى التغيير والتجديد المستمر¹. وهذا معناه أنه لا يجب أن يتجه المجتمع نحو العزلة والانطواء والانكفاء على الذات باسم التمسك بالهوية والمحافظة عليها، فهذا سيؤدي حتما إلى الخمول وعبادة الماضي وانتشار التعصبية والامتناع عن الخلق والتجديد.

فالهوية مرتبطة بالثقافة، وبالتالي فهي متغيرة بتغير هذه الثقافة. والهوية أبدا ليست جامدة أو ساكنة بل متجددة، فكل جيل يستطيع إعادة خلق وترجمة تلك الهوية من خلال التطور والحركة التي يشهدها المجتمع لكن دون فقدان معنى الهوية². فهي تسير عملية التغيير والتحول. فالهوية ليست مرادفا للتعصب والانغلاق على الذات ولا تدعو إلى ذلك حتى وإن تعلق الأمر بالدين، لأن الدين كذلك يحث على التغيير والحوار، ومواكبة التطور العلمي والتكنولوجي والمعرفي وهو ما عبرت عنه نسبة 46%. كذلك أن الحدثة تقوم على أسس دينية، هي نتاج العقل والدين، وأن الدين يسعى إلى الحضارة والحدثة والانفتاح. فأهم أسسها هو الدين. فدور الشباب في التغيير كما عبر

1 Geneviève Vinsonneau, Culture et comportement, Op cit, p 141.

2 La Mondialisation et son impact sur la culture islamique, Actes du colloque international, Alger, 10,11 et 12 mai 2004, Publication du Haut Conseil Islamique, P43.

عن ذلك نسبة 82% من أفراد العينة الشباب يكمن في الدخول في العولمة مع المحافظة على قيم المجتمع الجزائري التقليدية، وهو ما يؤكد بالفعل حدوث نوع من التغير على مستوى الأفكار مما خلق الوعي لدى الشباب بسلبيات العولمة وإيجابياتها في أن واحد في تشكيل الهوية الوطنية؟

3-1- إشكالية الهوية وتحديات العولمة:

تشكل إشكالية الهوية خاصة إذا ما تعلق الأمر بالدين وعلاقتها بالعولمة موضوعا واسعا ومعقدا، تعود دائما إلى العلاقة أو الثنائية، إسلام/حدثا خاصة في سياق المرحلة الحالية التي تعيشها المجتمعات¹ وعلى رأسها المجتمع الجزائري. لأن العولمة معناها العالمية. فإذا كانت عملية التغير، التطور، مواكبة العصر، العولمة، الحدثا تتطلب تبني قيما جديدة متناقضة مع القيم التقليدية الدينية خاصة، فإن هذا يطرح إشكالا يؤدي إلى حدوث نوع من اللاتوازن لدى الأفراد في المجتمع (...) وهذا من خلال ما يقال حول الدين الاسلامي وعلاقته بالحدثا والعولمة. فالعقل الحدثا والعولمة كمنهج تفكير غربي يعتبر أنه من المستحيل ربط مناهج العقل الحدثا بالأمور والقيم الدينية، وبالتالي هذا ما يخلق نوع من التخوف وربما الصراع من كل عمليات التغير التي يمكن أن يشهدها المجتمع، وبالتالي يؤدي إلى الانغلاق بدعوى المحافظة على الهوية (...) فالعولمة بهذا المعنى تعمل على إنتاج نوع من العلمانية المفرطة².

لكن يبقى تصور الشباب للعولمة هو الذي ستحدد موقفهم وكيفية التعامل معها. ففي إجابة الأفراد على السؤال رقم 90: هل أنت مع فصل الدين عن الدولة؟ كانت الاجابات كالتالي. أعلى نسبة وهي 76,5% لا تقبل فصل الدين عن الدولة. فالقيم الدينية تعد من أهم القيم التي يستند إليها الشباب الجزائري في تحديد ما هو مرغوب وما هو مرفوض، وبالتالي تحديد اتجاهاتهم، تصوراتهم وأنماط سلوكياتهم. فالدين الاسلامي، وفي تصور الشباب الجزائري خاصة لم يكن ضد التغير، لكن وفق مبادئ معينة. أي الانطلاق من القيم الاصلية للمجتمع. بهذا الشكل يكون المجتمع قد حافظ على خصوصيته وهويته وقام بإثرائها، وفي نفس الوقت استطاع السير في ركب الحدثا. وتعبير آخر فإن الحدثا تنطلق من القيم الدينية المشكلة للهوية ومن ذات المجتمع، لكن في نفس الوقت هذه المنظومة القيمية التقليدية والدينية تعاد صياغتها ومحورها

1 Ipid, P43.

2 Ipid, P44.

بمنطق الحداثة، وهذا هو الدور، بالأحرى الرهان الذي يسعى إليه الشباب في المجتمع الجزائري.

فالعلاقة متبادلة بين أطراف المعادلة: الدين، الهوية، العولمة والحداثة إذا تعاملنا مع كل طرف بإيجابية، ولم ننظر إليها فقط من وجهة نظر سلبية. فلا أحد ينسلخ كما أكد أفراد العينة عن تراثه وعن خصوصيته وهويته، وإنما هذا التراث نعيد قراءته قراءة حية، خصبة، جديدة بنوع من التحليل والنقد، لاستكشافه وإعادة بنائه بمنطق الحداثة، وبالتالي إعادة ممارسة الدين والخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري بطريقة جديدة عالمية مبتكرة. أي من خلال نوع من التنوير الذي يقوم على الاستخدام الحر للعقل، واسترجاع الإنسان لنوره الخاص والخروج من سيطرة الغير إلى بروز الذات وإشرافها، حتى وإذا تعلق الأمر بالمنظومة القيمية التقليدية للمجتمع، لكن ليس من خلال إلغائها وإنما تجاوزها.

إن هدف التنوير يقول أركون هو منح العقل البشري جميع الحماية والأسباب التي تمكنه من مواصلة الانتاج المعرفي والثقافي. فأركون¹ وخلافا من كل التفسيرات والتأويلات التي تعاني منها كتاباته فهو من أكثر المفكرين الذين لا يرون الحداثة بمعزل عن القيم الدينية. وبالتالي المحافظة على الهوية التي حتى وإن كانت تعني التفرد والخصوصية والتميز، وما يشكل حصيلة المجتمع من لغة ودين وقيم... إلا أنها لا تدعو إلى الانغلاق. لأن كل هذه العناصر ليست ثابتة بل متغيرة ومتطورة مواكبة للعصر الحالي. وبالتالي ما يسمح بإعادة بناء وتشكيل الهوية وفق متطلبات العصر، إعادة تكييف الثقافة والقيم التقليدية، وبالتالي فالهوية هي الأخرى قابلة للتكيف وفق استراتيجيات التحول والتغير والتجديد.

فالمجتمع الجزائري لا يعيش بمعزل عن التغيرات والتحولات التي يشهدها العالم. فهو بصدد الدخول في عصر جديد، عصر التقنيات والتكنولوجيات الحديثة، وهي صيرورة حتمية، ولكي يكون التغيير إيجابيا لا بد من أن يكون من الداخل، ولا بد من المشاركة فيه كفاعلين لا مستهلكين. وهذا لا يحدث بجعل الهوية معطى ثابت يرفض التغير والتحول... بالعكس، إذ لا يمكن تجاهل ديناميكية الثقافة التي تعيد إحياء وخلق الهوية بالتواصل والحوار والتفاعل، وإحداث التناغم بين القيم والعناصر

1 محمد أركون، من فيصل المقام إلى فصل المقال، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترهاشم صالح، دار الساق، ط2، بيروت لبنان، 1995.

القديمة التقليدية والجديدة. من خلال إعادة تأويل القيم التقليدية والثقافة في ضوء التغيرات الحاصلة ومتطلبات العصر.

وبالتالي يمكن القول أن العلاقة بين العولمة والهوية هي علاقة جدلية إذا أردنا الاستفادة منها بطريقة إيجابية. فإشكالية العولمة وعلاقتها بالهوية والأزمة التي يمكن أن تظهر في هذه العلاقة ليست حكرا فقط على المجتمعات المتخلفة، بل شهدتها كذلك الدول الغربية الأوروبية. فالنظرة الشاملة والعامة للعولمة الثقافية خاصة، تقوم على أساس استبعاد الانتاج الثقافي والقيمي من سياقه الخاص¹ أي الذي أنتج وتشكل من خلاله، وبالتالي من المجتمع ككل، بمعنى تتجاهل تماما كيف تشكل هذا المحصول الثقافي والقيمي عبر مختلف المراحل التاريخية ليشكل مرجعية المجتمع وهويته. فالعولمة أنتجت مجموعة من الظواهر التي تناقض وتعارض وتعكس في بعض الاحيان القيم التقليدية لأي مجتمع، والتي كانت هي القاعدة الرئيسية للحدث في الغرب، مما أدى إلى حدوث أزمة هوية لدى الأفراد في الغرب والتي امتدت إلى دول العالم الثالث (... فتحوّلت أزمة الهوية إلى أزمة معنى².

من أهم مظاهر العولمة هو تأثير وسائل الاعلام والاتصال والتكنولوجيات الحديثة خاصة على فئة الشباب. والتغير الاجتماعي يعتبر صفة ملازمة لأي مجتمع ولأي ثقافة، وتعتبر كنتيجة لمختلف التجديدات التي تتطلبها المرحلة الحالية التي يشهدها العالم، فيكون التأثير بذلك يفوق بكثير التغيرات التي كانت تحدث قديما، خاصة أمام تطور ظاهرة العولمة بثورتها التقنية وتوسع شبكة الانترنت. فالهوية ترتبط بالثقافة. فهي تتغير بتغيرها وتطورها لكن إذا صاحب ذلك وعي الأفراد كفاعلين من خلال تغير الأفكار. "فالإنسان يتفاعل ويتعامل مع محيطه الطبيعي والاجتماعي من خلال وسيط هو الذهن وما ينتجه هذا الذهن على امتداد الزمان والمكان من تصورات ومفاهيم وقيم وأحكام، والتي تشكل في تراكمها ما نسميه بالثقافة. وبذلك يكون الإنسان فاعلا، بمعنى أن يكون قادرا على تمثيل العالم من حوله والحكم عليه في ذات الوقت من أجل

1 Jean-Pierre Warnier, La mondialisation de la culture, Repère, La Découverte, paris, 1999. P95.

2 Jean- Marie Domenach, Approches de la modernité, Ellipses, Paris, 1995. P11

تغييره أو تحويله، أو دمجها في ذاته (...) فما الثقافة إلا حصيلة امتزاج الذات بالموضوع¹ واقعيًا، فتتشكل بالتالي الهوية.

فتكنولوجيا الاعلام والاتصال تطرح مجموعة من التحديات أمام فئة الشباب خاصة فيما يتعلق بإشكالية الهوية، مع ما تقوم بنشره من قيم جديدة مختلفة عن القيم التقليدية للمجتمع الجزائري، والتي تشكل في الأساس خصوصيته الثقافية وهويته الوطنية، بالرغم من علمنا اليقين من أن الثقافة ليست راکدة ولا جامدة بل ديناميكية ومتغيرة باستمرار، ومحاولة تكييف الذات مع الواقع الاجتماعي. فبالرغم من السلبيات التي تطرحها تكنولوجيا الاعلام والاتصال إلا أنه لا يجب انكار أن هناك نوع من الايجابيات التي جلبتها الفضائيات كآلية لتنوير العقل، وفتح أبواب المعرفة الإنسانية وتفتيح الفكر خاصة إذا تعلق الأمر بالقنوات الدينية التي يتابعها الشباب، وفهم العلاقة بين الحداثة والدين و الهوية. أي أنها ساعدتهم على مقارنة ثقافة وهوية مجتمعهم بغيرها. وبالتالي تغيير الثقافة وتطويرها والمحافظة عليها وإعادة تشكيل هوية جديدة انطلاقًا من الهوية الأصلية...

2-3- تصورات الشباب للهوية في علاقتها بالحداثة:

سنحاول في هذا الجزء فهم سؤالي الحداثة والهوية وعلاقتهما الجدلية. فالتراث أو الأصالة وما يشملها من قيم "تتضمن بحكم الحد والمضمون التفتح والعالمية، التطور والتقدم. إذ أن الأصالة ليست الانغلاق والتجمد بل هي بقاء الانسان هو هو مع الاستفادة من احتكاكه بالغير، ومسايرته للركب الانساني بما ينسجم مع عناصر ذاته ويتناغم مع مفهوم شخصيته، إذ يتميزه ذلك فقط يكون عنصرا يقدم مساهمته في الفكر الانساني والحضارة العالمية وبدونه لا يثرها بشيء"². فالأصالة لا تتنافى مع العولمة والتفتح لأنها ليست الجمود والتعصب، والانغلاق والتخلف عن الركب العالمي، بل هي التقدم إلى الأمام والبروز، وإثبات الوجود المتميز، تتضمن بالضرورة التفتح والعالمية والتجديد والمعاصرة.

1 تركي حمد، الثقافة العربية أمام تحديات التغيير، بحوث اجتماعية، دار الساق، ط1، بيروت، لبنان، 1993، ص19.

2 مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1975، ص 10.

ويقول مولود قاسم كذلك أن "الأصالة هي أن يبقى الانسان وأن يكون ابن عصره دون أن يصبح نسخة غيره"¹، فحاولنا قراءة هذه المقولة على ضوء مقولة Domenach وهو في هذا المعنى يتوافق معه حينما قال أنه يعتبر حديثا كل فاعل أو فرد ثبت أنه يتوافق مع عصره². بمعنى ضرورة استيعاب الواقع والابتعاد على عملية التثبيت المتشدد بالماضي. وهذا معناه ضرورة الوعي بالحاضر والماضي في نفس الوقت. فالهوية في تصور الشباب معناها التغيير والانفتاح على الآخر مع المحافظة على الثقافة الوطنية. ما أكدته نسبة 81,5%، وفي نفس الوقت فإن التغيير معناه مواكبة العصر مع المحافظة على القيم الأصلية بنسبة 83,5%، الأخذ بالتقديم والوصول إلى الجديد بنسبة 80,5%، المسؤولية وخلق روح الإبداع والإبتكار بنسبة 75,5%. وبالتالي الوعي بضرورة التغيير الداخلي والعمل كفاعلين داخل الثقافة والقيم، أي الوعي بواقع المجتمع الجزائري ومنظومته الثقافية والقيمية وهويته الوطنية وأهميتها في إعادة البناء.

فالهوية تعرف بطابعها الديناميكي المتعدد الأبعاد، فهي متحولة ومتغيرة باستمرار وبطريقة مرنة مما يجعلها عرضة لإعادة الصياغة والتشكيل الدائم. وبالتالي فهي ليست مطلقة بل نسبية من خلال الدور الذي يقوم به مختلف الفاعلين خاصة فئة الشباب في عملية التغيير الاجتماعي الذي يعتبر حتمية تشهدا كل المجتمعات. وعليه فهناك علاقة ترابطية بين الحداثة، الهوية والتغيير الاجتماعي. فحتى وإن كانت العلاقة بين الهوية والعولمة تتخللها بعض التناقضات، لأن العولمة تسعى إلى سيادة هوية واحدة عالمية، إلا أن هناك علاقة ترابطية بين الهوية والحداثة إذا ما تعاملنا مع مفهوم الحداثة بمعناها الإيجابي على اعتبار أنها لا تأخذ نفس مفهوم العولمة، أي ليس هناك حادثة واحدة وإنما أحداث مختلفة وبالتالي هويات.

فمن خلال البحث في إشكالية الحداثة وجدناها نمطا في التفكير أكثر منها مفهوما، إنها الوعي بذاتها والبحث في إمكانية التجديد المستمر³ فهي الدفع للتغيير لكن انطلاقا من الذات، أو طريقة للتغيير والبحث عن الجديد، انطلاقا من التقليد (ما هو كائن) ودفعه ليتحول ويصبح جديدا. لكن متى يبدأ التقليد، أليست الحداثة عرضة لأن

1 سؤال الهوية والانانية عند مولود قاسم نابت بلقاسم في ظل العولمة، اعمال الملتقى الوطني الاول، مرجع سابق.

2 Jean- Marie Domenach, *Approches de la modernité*, Op cit, 1995. P15.

3 Jean- Marie Domenach, *Approches de la modernité*, Op cit. P19.

تصبح هي الأخرى تقليدا؟ فهي تدعو دائما إلى التغيير وتجاوز التقليد لتصبح بذلك إيديولوجيا للتغيير¹ انطلاقا من الماضي أي التراث، بمعنى ضمن حلقة لإعادة إنتاج وإحياء ذلك التراث، وبالتالي ما يشكل حداثة اليوم سيصبح في مرحلة ما تقليدا. فميزة الحداثة في هذه الحالة أن هذا الجديد هو دائما مؤقت يزول لصالح جديد آخر حديث، أي لثقافة وقيم أخرى نقوم بتجديدها.

لكن أين هو موقع الهوية في هذه الحالة بالنسبة للمجتمع الجزائري ورغبة شبابه الوصول إلى هوية جديدة...؟ فالحداثة والهوية بهذا المعنى تقوم بالأساس على ما هو موجود. أي الانطلاق من المنظومة القيمية للمجتمع بما في ذلك الدين الذي يعتبر أهم أسس تشكيل الهوية. فمن الممكن التغيير والتحول انطلاقا من أسس دينية إسلامية. فأهم المشاكل التي تواجه مفهوم الحداثة كما عبر عنها الفيلسوف جون بودريار هو فهم الحداثة بنقيض مقصودها، وذلك من خلال إقصاء التراث والدين خاصة باسم الحداثة، ونفي الدين باسم العلم والعقلانية. إذ تم الكشف على أن الدين لا يقل عقلانية عن العقلانية نفسها². وبالتالي ضرورة البناء انطلاقا من الخصوصية الثقافية للمجتمع.

وهنا تكمن العلاقة بين الحداثة والهوية، على اعتبار أن الحداثة تقوم من داخل المجتمع أي من خلال عمل الأفراد كفاعلين وهنا يكمن دور الشباب. فأهم الأسباب التي دفعت بهم إلى محاولة خلق هذا التمازج القيمي هو محاولة الموازنة بين القيم التقليدية للمجتمع الجزائري، وقيم الحداثة لكن مع الأخذ بعين الاعتبار القيم الدينية وإعادة تشكيل الهوية والمحافظة عليها. وبالتالي فسبب التغير والامتزاج القيمي ليس التقليد والغزو الثقافي وإنما مواكبة التطور العلمي والمعرفي واستيعاب المقومات الثقافية والهوية للمجتمع الجزائري، ما يؤكد وعي الشباب بهويتهم من خلال العمل داخل الثقافة التقليدية ذاتها، وبالتالي التغير والتطور مع المحافظة على الهوية والخصوصية الثقافية.

لكن بالحديث عن التغيير، مشاركة الفرد كفاعل... فإننا نتحدث بالضرورة عن الثقافة ودورها في سيرونة الحداثة وبالتالي عن الهوية في علاقتها بالحداثة. ففاعلية الثقافة تكمن في ضبط سلوك الفرد وتحديد مساره وتصورات. فهي تشكل البناء الذي

1 Ipid, P15.

2 سؤال الهوية والانية عند مولود قاسم نايت بلقاسم في ظل العولمة، مرجع سابق، ص331.

يصوغ شخصية الافراد وبالتالي تتحدد أنماط سلوكهم. ومن أهم مميزات الحداثة في هذه الحالة أنها تراكمية. أي أنها تعمل على نقل المجتمع من مجتمع تقليدي كما هو موجود إلى مجتمع جديد حديث يعلوه في التقدم لكن بالانطلاق مما هو كائن. وهي صفة أساسية في جدلية الحداثة. والميزة الأخرى المهمة هي أن كل هذه التغيرات والتحويلات هي تغيرات وتحولات داخلية، أي نابعة من أصل المجتمع، ومن المنظومة الثقافية التقليدية آخذا بعين الاعتبار الخصوصية الثقافية ومحافظة بالتالي على هويته من خلال إعادة تشكيلها وفق استراتيجيات جديدة تتماشى مع متطلبات الحداثة، أي من مقتضيات مجتمعه وليست حادثة مفروضة من الخارج...

خاتمة

من أهم الاستراتيجيات التي يسعى الشباب الجزائري تبنيها هي هوية الحداثة وليس هوية العولمة. أي إعادة تشكيل هوية جديدة لكن مبنية على الموروث الثقافي والمنظومة القيمية للمجتمع الجزائري، وهذا ما يجب أن ينتهجه شباب العالم العربي ككل. فالهوية ليست ثابتة أو ساكنة ولا تدعو إلى التعصب والانغلاق، بل متغيرة ومنفتحة وتدعو إلى مواكبة التغيير. إنها هوية الحداثة والانتاج الرمزي، فهي سرورية ذات أبعاد متغيرة، منفتحة وقابلة للتجدد والابتكار، والتواصل الفعال، وليست كمعطى أو كقيمة ثابتة غير قابلة للمساس والتحول. لكن لابد من التأكيد أن هذا لا يعني أبدا التخلي والانسلاخ عن المنظومة القيمية والخصوصية الثقافية، خاصة عندما نتحدث عن الدين كأهم عامل في تشكيل هذه الهوية في المجتمع الجزائري. وإنما محاولة خلق -إن صح التعبير- نوع من التبادل والتفاعل والتناغم عن طريق عملية جدلية بين الهوية الذاتية والآخر. هذه الهوية التي تبحث على إثبات ذاتها وسط مختلف الهويات ومن خلال مختلف التأثيرات والتحديات الخارجية، ومحاولة الاستفادة من إيجابيات العولمة والثورة التقنية في إعادة بناء وتشكيل هوية جديدة.

فالشباب أثبت وبالرغم من سعيه المتواصل للتغيير وتبني القيم الحديثة الجديدة، إلا أنه على وعي تام بأهمية المكونات الأساسية للهوية وعلى رأسها اللغة والدين. وأهمية مواكبة التطور العلمي والفكري خاصة، مثبتا بداية مرحلة جديدة من خلال تبنيه لخطاب معتدل قائم على الدمج والتكامل الغير مضر بالخصوصية الثقافية ومقومات الهوية الوطنية، ومتجنباً بذلك لحدوث الصراع والاغتراب أو ما نسميه بأزمة الهوية. هذا الخطاب القائم بالدرجة الأولى على حقائق موضوعية متعلقة بواقع وثقافة

المجتمع الجزائري وقيمه التقليدية، ومن جهة أخرى قائم على طموحات الشباب وتصوراتهم لعملية التغيير والوصول إلى مواكبة العصر والحداثة بكل ما تطرحه هذه المرحلة التحولية من تأثيرات وتحديات.

كل ذلك من خلال علاقات الشباب مع ذواتهم ومع الآخرين محاولين إثبات هويتهم كإطار مرجعي يستند إليه لتحقيق الذات، وذلك عن طريق تطوير مجموعة من الاستراتيجيات الجديدة في التعامل مع الهوية، أي هوية جديدة تتماشى وتتوازى مع التغيرات الحاصلة والواقع الجديد الذي أفرزته هذه التغيرات، على اعتبار الهوية متغيرة وغير ثابتة، الأمر الذي دفعهم إلى عدم القبول بهوية جاهزة، وإنما بناء هوية جديدة قائمة على الخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري والتغيرات التي يعيشونها، والرغبة في بناء مجتمع جديد، أي هوية يتفاعل فيها ما هو تقليدي وما هو حديث. فبناء الهوية وتعزيزها تقوم على الأفراد الشباب خاصة، كفاعلين من خلال القدرة على الاستمرار والتجديد وإحياء وإعادة خلق التراث والثقافة والقيم التقليدية الدائم، والحوار النقدي القائم على التفاعل مع الآخر ومع المتغيرات الجديدة والحداثة. فالفرق في العلاقة بين العولمة والهوية، والحداثة والهوية هو في طغيان وسيادة نموذج ثقافي واحد وهو ما يحدث بالنسبة للعولمة، أي أنها عالمية. لكن بالنسبة للحداثة ليس هناك حداثة واحدة وإنما حداثات مختلفة، لكل مجتمع حداثته الخاصة وبالتالي فلكل مجتمع هويته. فالحداثة لا تسعى إلى إلغاء الهويات وإنما إعادة بنائها وإثرائها وتجديدها، وهنا يكمن الفرق.

الملحق

جدول رقم 1: مفهوم الهوية في تصور الشباب

الهوية الوطنية تعني لك : (يمكن اختيار أكثر من إجابة)	المستوى الدراسي									
	ابتدائي		متوسط		ثانوي		جامعي			
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
المحافظة على الثقافة الوطنية	12	6,0 %	22	11,0 %	46	23,0 %	91	45,5 %	171	85,5 %
أخذ الحذر من قيم الثقافة الغريبة	10	5,0 %	16	8,0 %	43	21,5 %	67	33,5 %	136	68,0 %
الانغلاق وعدم			1	0,5 %	1	0,5 %	1	0,5 %	3	1,5 %

التواصل مع الغير										
الدعامة الأساسية للأمن والاستقرار	8	% 4,0	18	% 9,0	39	% 19,5	62	% 31,0	127	% 63,5
التخوف من التغيير ورفضه ومقاومته	2	% 1,0	3	% 1,5	6	% 3,0	11	% 5,5	22	% 11,0
ضرورة للتمييز عن الآخر	6	% 3,0	11	% 5,5	19	% 9,5	40	20,0 %	76	38,0 %
التغيير والانفتاح مع المحافظة على الثقافة الوطنية	12	% 6,0	20	% 10,0	43	% 21,5	88	44,0 %	163	81,5 %

جدول رقم 2 : استعمال اللغة الفرنسية كمعيار للتقدم؟

في رأيك هل استعمال اللغة الفرنسية يعتبر معيارا للتقدم	السن						المجموع العام	
	من 18 إلى أقل من 25 سنة		من 25 إلى أقل من 30 سنة		من 30 اقل من 35 سنة			
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
1.نعم	15	% 7,5	24	% 12,0	28	% 14,0	67	% 33,5
2.نوعا ما	27	% 13,5	21	% 10,5	16	% 8,0	64	% 32,0
3.لا	24	% 12,0	31	% 15,5	14	% 7,0	69	% 34,5
المجموع العام	66	% 33,0	76	% 38,0	58	% 29,0	200	% 100,0

- جدول رقم 3: اللغة المستعملة عند الشباب

اللغة التي يفضل استعمالها في الحديث	المستوى الدراسي								المجموع العام	
	ابتدائي		متوسط		ثانوي		جامعي			
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
1.اللغة العربية	1	% 0,5	3	% 1,5	6	% 3,0	12	% 6,0	22	% 11,0
2.اللغة الفرنسية	1	% 0,5	2	% 1,0	6	% 3,0	6	% 3,0	15	% 7,5
3.اللهجة	10	% 5,0	17	% 8,5	28	% 14,0	46	% 23,0	101	% 50,5
4.مزيج	1	% 0,5	6	% 3,0	18	% 9,0	37	% 18,5	62	% 31,0

المجموع العام	13	% 6,5	28	% 14,0	58	% 29,0	101	% 50,5	200	% 100,0
---------------	----	-------	----	--------	----	--------	-----	--------	-----	---------

جدول رقم 4 : الرأي الشباب في حالة استبدال اللغة العربية

إذا قامت السلطات بجعل لغة أجنبية كلفة رسمية بدلا من العربية.	الجنس				المجموع العام	
	1ذكر		2أنثى			
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
تعارض	88	% 44,0	84	% 42,0	172	% 86,0
توافق	3	% 1,5	4	% 2,0	7	% 3,5
لا تهتم	9	% 4,5	12	% 6,0	21	% 10,5
المجموع العام	100	% 50,0	100	% 50,0	200	% 100,0

جدول رقم 5: مكانة الدين لدى الشباب الجزائري

	1 ذكر		2 أنثى		العدد	النسبة
تطبيق الشعائر الدينية (الدين الإسلامي)	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
اختياري	29	% 14,5	40	% 20,0	69	% 34,5
إجباري	38	% 19,0	21	% 10,5	59	% 29,5
ضروري	33	% 16,5	39	% 19,5	72	% 36,0
Total général	100	% 50,0	100	% 50,0	200	% 100,0

جدول رقم 6 : التمسك بالقيم الدينية وعلاقته بالحدثة

هل ترى ان التمسك بالقيم الدينية للمجتمع يساهم في التخلف ويتعارض مع الحداثة	السن						المجموع العام	
	من 18 إلى أقل من 25 سنة		من 25 إلى أقل من 30 سنة		من 30 اقل من 35 سنة			
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
نعم	3	% 1,5	6	% 3,0	7	% 3,5	16	% 8,0
نوعا ما	15	% 7,5	13	% 6,5	8	% 4,0	36	% 18,0
لا	48	% 24,0	57	% 28,5	43	% 21,5	148	% 74,0
المجموع العام	66	% 33,0	76	% 38,0	58	% 29,0	200	% 100,0

جدول رقم 7 :فصل الدين عن الدولة

Q90 هل أنت مع فصل	المستوى الدراسي							
	ابتدائي		متوسط		ثانوي		جامعي	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%

الدين عن الدول ة ؟										
نعم		% 0,0	5	% 2,5	5	% 2,5	7	% 3,5	17	% 8,5
نوعا ما	4	% 2,0	1	% 0,5	8	% 4,0	17	% 8,5	30	% 15,0
لا	9	% 4,5	22	% 11,0	45	% 22,5	77	% 38,5	153	% 76,5
المجموع العام	13	% 6,5	28	% 14,0	58	% 29,0	101	% 50,5	200	% 100,0